دور البحث العلمي في تطوير التعليم العالي الاكاديمي

الاستاذ الدكتور

عبد الجبار سعيد محسن

جامعة القادسية / كلية التربية الرياضية

مقدمة البحث

أصبحت الحاجة الى الدراسات والبحوث في التعليم العالي تنال الاهتمام الواسع لمدن العلم والعالم في سباق مع الزمن من أجل الوصول والحصول على اكبر قدر ممكن من المعرفة الدقيقة وان قوة الدقيقة وان قوة الدولة أخذت تعتمد على مقدار تقدمها العلمي وجم الاختراعات العلمية ومستواها بالاضافة الى حجم الانفاق والاستثمار في مجال البحث العلمي .

ويحتل البحث العلمي في الوقت الحاضر مكانه مميزة في تقدم النهضة العلمية حيث تعتبر مؤسسات الاكاديمية والجامعات هي المركز الرئيسي للنشاط العلمي الحيوي بما يتوفر لها من وظيفة اساسية في تشجيع البحث العلمي (جراوات وشترك ، ٢٠٠٠).

وبدأ الاهتمام الدول المتقدمة بالبحث العلمي منذ فترة بعيدة وقامت بتدريسه في الكليات المختلفة كمادة اساسية في معظم التخصصات وذلك ايمانا منها بدوره الفاعل في عملية التطوير والتنمية بكافة اشكالها ومجالاتها .

أما في الدول العربية فقد بدأت بالبحث العلمي في اوساط القرن الماضي ومازلنا بحاجة ملحة الى تنشيط البحث العلمي وتطويره وحل المشكلات الاساسية التي لازالت تواجهه ومن بينها عدم وجود خطط واضحة للبحث العلمي على المستوى الوطني والنقص الواضح في ميزانيات البحث العلمي وغياب التنسيق بين مؤسسات البحث العلمي في البلدان العربية وحتى على مستوى البلد الواحد .

ان الدائرة التربوية الواسعة التي تشمل (البيت والمدرسة والاعلام والمؤسسات العلمية ومواقع العمل والنشاطات اللامنهجية والجمعيات) هي المسؤولة عن تنشئة جيل من العلماء والمبدعين والعمل على تنمية قدراتهم الابداعية وعلينا ان ندرك ان النظام التربوي في أي مجتمع هو نتاج للعوامل والمؤثرات التي تحكم ذلك المجتمع وهي البيئة التي تشكل النظام التربوي وبالقدر الذي تكون فيه هذه البيئة متطور يرقى النظام التربوي والتعليمي وهذا مما يعني أهداف تربوية واستراتيجية في السياسة التربوية جديدة لابد منها ويصاحبها اعداد متكامل

في جميع جوانب العلمية والتربوية من أدارة وتدريسيين ومناهج وطرائق تدريس حتى نتمكن من تشكيل بيئة علمية حقيقية هدفها ومحورها الطالب الذي يجلس في مقاعد الدراسة في المراحل التعليمية المختلفة (عدس ، ١٩٨٨) ولابد من الفهم ان التعليم تراكمي وسلسلة متصلة ومتكاملة فكل مرحلة مهيأة ومكملة لما بعدها من المراحل فمخرجات الثانوية العامة تؤثر في مدخلات التعليم الجامعي، كما ان مخرجات التعليم الاساس تؤثر في مدخلات التعليم الثانوي ، مما يعني ان تكون سياسة تعليم ثقافة البحث العلمي عملية متدرجة تبدأ بالتعليم الاساس بكتابة تقارير علمية والعمل على اسلوب النقد والتمحيص والتحليل بالقدر الذي يناسب ومستوى المرحلة التي يكون بها الطالب في مرحلة الثانوية حتى يصل الطالب الى الجامعة يكون في مقدوره ان يتعامل مع البحث العلمي بيسر وسهولة

(كمال ، ٢٠٠٥)

وتعريفه واسسه

العلم والبحث العلمي ليس هناك من تميز بين أمه وأخرى في امتلاك القدرات العقلية ولا تؤشر زيادة نسبة المبدعين عن بعض الامم الى تميز بقدراتها العقلية ، بل تعود وبصفة عامة الى نظامها التعليمي فالنظام التعليمي الذي يعتمد الحوار ويعطي فرصة الى العقول المفكرة والباحثة والمبدعة ويعمل على رعايتها والاهتمام بها وتوفير البيئة النقية لها من أجل التطور والابداع هو النظام القادر على ان يكون نظاماً قادراً على المساهمة في البناء والتطور وان البحث العلمي في يومنا هذا اصبح جزء رئيساً من حياة اية امة تتطلع الى الرقي والازدهار وهذا مما يدفع الى التركيز على البحث العلمي من خلال كونه طريقة منظمة او فحصاً استفسارياً منظماً لاكتشاف حقائق جديدة والتثبت من حقائق قديمة والعلاقات التي تربط فيما بينها ، أو القوانين التي تحكمها

أن مفهوم البحث يقع ضمن اطار مفهوم العلم ويظن الكثيرون ان المقصود هو البحث العلمي ، أي ان البحث يتبع الطريقة العلمية او المنهج العلمي لغرض تحقيق اهداف العلم ونتيجة لتفرغ العلوم وظهور التخصصات المختلفة ، فأن نوع البحث يحدد بمجاله او بموضوعه (شحادة ، ٢٠٠٠)

وقد ظهرت عدة تعريفات للبحث لاحصر لها ومعظمها تتدفق حول فكرة واحدة وهي ان البحث هو وسيلة للاستفسار الدقيق والمنظم ، يقوم بها الباحث لاكتشاف حقائق وعلاقات

جديدة تساهم في حل مشكلة ماء ويعرف عن (whitnry) البحث بأنه استقصاء دقيق يهدف الى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلاً) وعلى الرغم من هذا التعدد في تعريف للبحث العلمي وعدم اتفاق الباحثين على تعريف محدد بسبب تعدد اساليب البحث العلمي وعدم تحديد مفهوم العلم ، فأنها جميعاً تشترك في الامور التالية (بدران ، ١٩٩٠)

١- انه محاولة منظمة تتبع أسلوب ومنهجاً معيناً ولا يعتمد على الطرق غير العلمية.

٢- يهدف الى زيادة الحقائق والمعلومات التي يعرفها الانسان وتوسيع دائرة معارف ليكون اكثر قدره على التكيف مع بيئته والسيطرة عليها .

٣- يختبر المعارف والعلاقات التي يتوصل اليها ولا يعلنها الا بعد فحصها والتأكد منها بالتجربة .

٤- يمثل جميع ميادين الحياة وجميع مشكلاتها ويستخدم مجالات الحياة على حد سواء .

دور البحث العلمي في أثراء التعليم العالي

من الممكن ان تميز البحث العلمي او النشاط العلمي المتخصص الذي يمارسه العلماء واعضاء هيئة التدريسيين في مجال تخصصهم في حل مشكلات الانسان في مجالات حياته المتعددة والبحث العلمي ليس تفير العلماء وانما تفكير يحتاجه الانسان وفي ضوء ذلك يمكن تحديد اهمية البحث العلمي وهي .

١- الرغبة في حب الاستطلاع والتعرف على الجديد واكتشاف الميول .

٢- طريقة علمية منظمة في مواجهة المشكلات اليومية والعامة.

٣- يزود المجتمع والناس بالوسائل العلمية الضرورية لتحسين أساليب المجتمع والناس.

٤- يعمل على رفع كفاءة الباحث واتقان العمل وزيادة الانتاج (بدران ، ١٩٩٠)

٥- يحقق طموحات والمنافع المادية والثقافية والعلمية لكافة الناس .

٦- تستخدم البحث لاوالة الشك في البحوث السابقة والرغبة في مواجهة التحدي في حل المسائل العلمية والرغبة في اكتشاف مدى جدية هذه الابحاث .

لذلك يعتبر البحث العلمي أحد العناصر الاساسية والمهمة في التعليم الجامعي لانه العمود الفقري لانشاء الجامعات ومراكز البحث العلمي وكذلك العامل المهمة في رفع مستوى اعضاء هيئة التدريس في مجالات تخصصهم وفي انجاح عملية التدريس ان البحث العلمي كوظيفة اساسية من وظائف الجامعات ، بالاضافة الى انه الاساس الذي تستند عليه انطلاقة الجامعة نحو تحقيق الاهداف التي يتطلع اليها المجتمع .(الاسعد ، ٢٠٠٠)

من غايات ، وهنا لابد من العمل على تمكين البحث العلمي من اداء دوره في خدمة المجتمع وخاصة في المجالات التطويرية والتنموية بما يفرض على المؤسسات والافراد ذات العلاقة ان تكون على قدر المسؤولية وتحقيق رسالة البحث العلمي ، لم يعد البحث العلمي رفاهية اكاديمية تمارسه مجموعة من الباحثين للحصول على الترقية الاكاديمية فهو ضرورة حياتية تتطلبها حركة التنمية النفسية والاقتصادية والاجتماعية الشاملة للمجتمعات وقد ادركت المجتمعات المتطورة عظم الدور الذي يلعبه البحث العلمي في السيطرة على الهيئة الداخلية للفرد وكذلك البيئة الخارجية له وهناك مجموعة من العوامل والظروف يجب توافرها في الباحثين او البيئة التي يعملون بها من هذه العوامل هي (عدس ١٩٨٨) هي

١. المؤهلات العلمية والشخصية للباحث

٢. توفر المناخ العلمي المناسب للباحث

٣. توفر المصادر وسهولة الحصول عليها .

٤. توفر الوقت المناسب والتمويل الكافي

ولان الجامعة هي الحاضنة الاساسية والفعالة للنشاط البحثي العلمي ، فلابد من العمل على تحسين اداء هذه المؤسسة وتوفر السبل الى ان تؤدي دورها بشكل فعال ويشير(عدس، ١٩٨٨) الى عدد من الاقتراحات لتنشيط عملية البحوث في الجامعة على النحو التالي :

١. ضرورة تخليص الجامعات واعضاء هيئة التدريس فيها من القرية الثقافية والعلمية والتي يعيشون فيها .

٢. محاولة الجمع بين التعليم والبحث والانتاج في مؤسسة تعليمية واحدة .

٣. تشجيع الدراسات العليا من خلال إيجاد عناصر جديدة مفعمة بالنشاط والحيوية.

٤. نشر الاجواء العلمية على مستوى الاقسام والكليات المتناظرة في البلد الواحد او بين الدول العربية . (الاسعد ٢٠٠٠)

٥. تشجيع البحوث الجماعية في نفس التخصص او بين تخصصات مختلفة.

٦. انشاء بنوك للمعلومات واستخدام التقنيات الحديثة .

وما يشهده دول العالم في الحاجة الى البحث والتطوير اليوم اكثر حاجة من ذي قبل وذلك في اطار كسر الحواجز بين قطاعات المجتمع ومؤسسات التعليم العالي ، والكثير من الدول يعزي الفضل فيما تشهده الان من تطوير الى ما يقوم به البحث العلمي بشقيه (التطبيقي والاساسي) ووضع استراتيجيات حكيمة في البحث والتطوير على اعلى المستويات ، تبدأ من مؤسسات التعليم العالي التي لها الاهمية والريادة بان تلعب بصفة عامة الدور الكبير في البحث والتطوير ، لان الجامعات مصدر الكفاءات و المؤهلات العالية وهما عملات اساسيات لتحقيق الابداع ومن الضروري الادارك ان المعرفة ليست هدفا في حد ذاتها اذا لم تترجم الى تطبيقات عملية ، ومن هنا يتوجب على الجامعات ان تتعامل مع التطورات العلمية الحديثة من خلال برامج لبحث والتطوير ويتم بالتخطيط العلمي الجيد مما يفرض مشاركة فعالة بين مختلف القطاعات الحكومية لاثراء عملية البحث العلمي في الجامعات مما ينعكس بشكل ايجابي على التطور العام وعلى ثراء التعليم العالي وهذا يتطلب مايلي :

١. توعية مختلف القطاعات الاقتصادية والزراعية وغيرها بالتعاون مع مؤسسات التعليم العالي في مجالات البحث والتطوير .

٢. اجراء دراسات ميدانية من قبل مؤسسات التعليم العالي حول المنشات الاقتصادية والاجتماعية ووحدات البحث التطوير فيها .

٣. رعاية برامج الدراسات العليا في المجال البحثي النظري والتطبيق للنشاط المختلفة ان ربط الدراسات والابحاث التي يقوم بها عضو هيئة التدريس بالحياة وربط الصلة بينها وبين مواقع العمل والانتاج خارج الجامعة يسهم في قيام الجامعة والتعليم العالي بدورها في تنمية المجتمع (غالب ، ٢٠١١) .

٤. ان نجاح التعليم العالي في القيام بدوره التنموي والتطويري يعتمد كليا على نجاح البحث العلمية انشطته المتنوعة التي تستدعي ادارة قادرة على ايصال الى المكانة الاجتماعية والثقافية لتجعل من الانتاج الفكري احد انماط الانتاج المتطورة .

دور التعليم العالي في خدمة البحث العلمي

انطلاقاً من ان الجامعات ومؤسسات التعليم العالي تمثل تعليم وبحث علمي فهي تمارس نشاطها البحثي من خلال

١. بحوث المراكز المرتبطة بالجامعة

٢. بحوث الدراسات العليا

٣. بحوث التدريسيين

تهتم الدول المتقدمة بالبحوث العلمية اين كانت الاساسية او التطبيقية وهذه هي مهمة الجامعات في القيام بهذه الابحاث وهنا لابد من التنسيق بين مؤسسات الدولة والجامعات ، ان نقل المعرفة وتطويرها لايتم الا على ايدي الباحثين ذوي الخبرة الواسعة في البحث والتجربة وان من وظائف الجامعة الرئيسية هو تهيئة جو البحث العلمي وايجاد الباحثين في مجالات اختصاص مختلفة ولا يقتصر البحث العلمي على اعضاء هيئة التدريس فحسب وانما يتجاوز الى الطلبة التي تعمل الجامعة على تدريبهم واعدادهم وتقاس عراقة الجامعات بما رسخت من تقاليد علمية واسس بحثية ثابتة (الاسعد ٢٠٠٠)

ان تنمية البحث العلمي وتشجيعه لابد ان من الطالب منذ جلوسه على مقاعد الدراسة على الاقل في المرحلة الثانوية قبل دخوله الى الجامعة ، ان من الواضح ان توظيف اساليب البحث العلمي والتدريب على استخدامها تهيئ للانسان سبل الابداع وحسن توظيف معارفه والحكومة المكتسبة ان البلدان المتقدمة تقوم على تدريب طلابها على كتابة تقارير علمية وبحوث حسب القواعد المرعية ، بحيث يتمكنون من استعمالها بسهولة ويسر عند التحاقهم في المراحل التعليمية المتقدمة وخاصة الجامعي لمتابعة علومها .

ان الحاصل في اغلب الجامعات العربية هو اغلب التدريسيين على البحث العلمي من قبل اعضاء هيئة التدريسيين الامر الذي ادى الى ضعف مجالات البحث العلمي على الرغم من ان البحث العلمي هو العامل الهام الذي يؤخذ عند النظر في ترقية عضو هيئة التدريس او الحكم على تميزه .

ان هناك وحدة تكامل بين التدريسيين والبحث العلمي لدى عضو هيئة التدريس فالتدريس دور بحث تجميد لعضو هيئة التدريس وانقاص رتبته والبحث دون تدريس يحرم الباحث من التحقق من نتائجه ومناهجه ونظرياته من خلال المناقشة والنقد من جانبه وجانب طلابه (عليان وعاشور ، ٢٠٠٠) .

معوقات البحث العلمي في الوطن العربي

ان البحث هو عملية الوصول الى الحقيقة وهو دراسة للتعرف على المشكلة ووضع الحلول اللازمة لها واستخدام هذه الحلول اختبار صلاحيتها ومن ثم تلبيها بشكل قواعد تصلح للاستعمال والتطبيق ، وان أي مجتمع يحتاج الى ظاهرة الربط بين محتوى التعليم العالي وبين حاجات التنمية ومتطلبات السوق عن طريق العناية الكاملة من قبل التعليم العالي والبحث العلي ، الذي هو ركيزة اساسية من ركائز التعليم العالي ، اذ ان مطلب البحث العلمي كان ومازال ضالة التعليم في كثير من البلدان العربية ولا يكون مقالاً ومزهراً الا بتوفر الظروف الاجتماعية المناسبة والامكانات الاقتصادية والمالية .

ويعاني البحث العلمي من عدم قدرته على الاسهام الكافي في تطوير الواقع العربي ورفع اقدرات الاقتصادية والاجتماعية للانسان العربي والمعاناة هذه نتجة المعوقات الاساسية التي تحد من نشاط البحث العلمي في وطننا العربي بشكل خاص هي معوقات نفسية وفكرية وسلوكية ، مقدم الثقة في القدرات الذاتية والاستسلام للاحباط والرغبة في البحث السريع (عوض ، ١٩٩٨)

ان البحث العلمي بواجه معوقات وعراقيل عديدة تقف في طريق امكانية مساهمته في اداء دوره . ومن اهم المعوقات هي :

١. عدم وجود دعم مادي للابحاث العلمية او المشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية .
٢. العراقيل الادارية التي تضعها ادارات الجامعات .
٣. ضعف الصلة بين البحث العلمي وحاجت المجتمع المحلي وعدم توجه الابحاث الى علاج قضايا المجتمع.
٤. تدني المستوى العلمي لبعض اعضاء هيئة التدريس الذي يقف في طريق مشاركتهم في الابحاث العلمية او في المؤتمرات والندوات المتخصصة ( )
٥. وجود فجوة بين مصممي الخطط التنموي ومنفذيها .
٦. عدم وضوح استراتيجية للبحث العلمي على المسارين الاكاديمي والواقعي لحل المشكلات اليومية في مختلف القطاعات . ( )

تطوير البحث العلمي

ان الخبرة والبحث العلمي هي الوظيفة الاولى في انتاج المعلومات وهذا التطور الوظيفي يسترجع من ذاكرته الذاكرة الخارجية التي تتاح له ما تيسر من المعلومات والاوعية المرتبطة بالخبرة ثم يوازي وينتهي بتكوين فكرة جديدة او تصور جديد وهي وظيفة الابتكار (جرادات و اشتراك ، ٢٠٠٠) ،

على الرغم مما ذكر في المعوقات التي تواجه البحث العلمي الا ان قضية التطور والتنمية المستقبلية له تحمل الصورة الايجابية للاسباب التالية (حمادي ، ١٩٩٠)

١. ارتباط صانعي القرار على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بمستقبل البحث والتطوير التربوي .
٢. توفر الكفاءات في جميع مجالات العلوم .
٣. زيادة المشاركة باهمية البحث العلمي من خلال المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية
٤. وضع استراتيجية للبحث العلمي مع مراعاة الدعم المادي له .
٥. التنسيق بين الجامعات ومراكز البحث العلمي لتطوير الدراسات العليا والبحث العلمي على كافة المستويات ولابد ان تشمل عملية التنسيق الجوانب الاساسية (ناصر ، ١٩٩٦)

أ- الموارد المالية .

ب- الكوارد العلمية .

ج- توفر الكفاءة من طلبة الدراسات العليا

د- تسخير الجهود والنشاطات البحثية في خدمة المجتمع

هـ- التقييم المستمر للبحث العلمي

و- التدريب وعند الدراسات لاستخدام التكنولوجيا ذات العلاقة بالحاسوب والانترنت

ز- توظيف وسائل الاعلام لخدمة البحث العلمي (الحرس ١٩٨٥)

ح- اعطاء الحرية لعضو هيئة التدريس في كتابة بحوث خارج تخصصه الدقيق .

المصادر

١. الاسعد ، عمر دار انماط التعليم العالي الي يحتاجها الوطن العربي حتى عام ٢٠٠٠، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٨.

٢. بشير شحادة ، دور البحث العلمي على مستوى التعليم العالي بين الواقع والطموح ، عمان ،جامعة الزرقاء الاهلية ، ٢٠٠٠.

٣. بدران عبد الحكيم : تشجيع البحث العلي على مستوى التعليم العالي والتعليم العالي في الخليج العربي ، الرياض ، ١٩٩٠.

٤. بوبطانة ، الجامعات وتحديات المستقبل ، مجلة عالم الفكر ، عدد ٣ ، الكويت ١٩٨٨.

٥. حمد ناصر ، التنسيق بين الجامعات العربية لتطوير الدراسات العليا والبحث العلمي ومجلة المستقبل العربي ، عدد ١٤٢ ج١٣ ، الكويت ، ١٩٩٠.

٦. جرادات ، محمود ، واشتراك رياض ، التوقعات المستقبلية للتعليم الجامعي الرسمي في الاردن ، مؤتمر التعليم العالي في الاردن بين الواقع والطموح ، عمان جامعة الزرقاء الاهلية ، ٢٠٠٠.

٧. حمادي ، عبد الرحمن ، الجامعات العربية بين بطالة الخريجي وهجرتهم الانتاجية المنشورة ، مجلة الوحدة ، العدد ٧٢، المغرب ، ١٩٩٠.

٨. عليان ، صالح ، عاشق ، خليفة ، البحث العلمي في الجامعة الاردنية من الملامح الواقعية الى النظرة المستقبلية ، مؤتمر التعليم العالي في الاردن بين الواقع والطموح ، جامعة الزرقاء الاهلية ، ٢٠٠٠

٩. عوض عادل ، وعوض سامي ، البحث العلمي وتحديات القرن القادم ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ابو ظبي ، ٢٠٠٥.

١٠. فريحات غالب ، ثقافة البحث العلمي ، عمان ، دار اليازوري ، ٢٠١١.